ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal for Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

The biography of Sultan Al-Nassir between the historians Al-Yusufi and Ibn Aybak Al-Dawadari: A Study in Historical Criticism

*** Corresponding Author**

Iman Farhan Kazem

Wasit University – College of Education for Human Sciences

Email: ekazem@uowasit.edu.iq

Keywords: Sultan Al-Nasir - Al-Yusufi - Ibn Aybak Al-Dawadari), critical analysis of texts

Article history:
Received: 2025-05-02
Accepted: 2025-05-30
Availablonline: 2025-08-01

ABSTRACT

The research is considered a critical historical study using the method of comparison and deduction, and the subject of the study revolves around the personality of one of the Mamluk sultans, Sultan Al-Nasir bin Sultan Al-Mansur Qalawun, whose reign is considered one of the most important periods in the history of the Mamluks, as he ascended the throne three times and important events took place, including internal and external political events, in addition to economic and social events, by criticizing and analyzing the historical texts contained in the works of two historians who were contemporaries of the Sultan, and the texts in both works almost differed according to the neutrality of each of them and their commitment to the conditions of the honest historian who is far from his whims and worldly interests, and by comparing with the rest of the historical sources that proved the truth of the contradictory personality of Sultan Al-Nasir.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution License (CC BY 4.0). https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/
DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss3.1022

سيرة السلطان الناصر بين المؤرخَين اليوسفي وابن أيبك الدواداري دراسة في النقد التأريخي

م.د إيمان فرحان كاظم
جامعة واسط كلية التربية للعلوم الانسانية

المُستخلص

البحث من الدراسات التأريخية النقدية باستخدام أسلوب المقارنة والاستنتاج ، وموضوع الدراسة يدور حول شخصية أحد سلاطين المماليك وهو السلطان الناصر بن السلطان المنصور قلاوون ، الذي تعد مدة حكمه من أهم الحقب الزمنية في تأريخ المماليك كونه اعتلى العرش ثلاث مرات ودارت أحداث مهمة منها سياسية داخلية وخارجية فضلا عن الأحداث الإقتصادية والإجتماعية ، بالنقد والتحليل للنصوص التأريخية الواردة في مؤلفين لمؤرخين عاصرا السلطان ، وكادت تختلف النصوص في كلا المصنفين بحسب حيادية كل منهما والتزامه بشروط المؤرخ الصادق المحايط البعيد عن أهواءه ومصالحه الدنيوية ، وبالمقارنة مع باقي المصادر التاريخية التي أثبتت حقيقة شخصية السلطان الناصر المتناقضة ..

الكلمات المفتاحية : السلطان الناصر – اليوسفي – ابن أيبك الدواداري، التحليل النقدي

المقدمة

تعد الدراسات النقدية من أهم الدراسات التأريخية ولطالما كشفت العديد من تلك الدراسات الكثير من الحقائق التي حاول بعض المؤرخين إخفاءها لأسباب عديدة منها ما تكون مذهبية أو لأجل مصالح دنوية أو الخوف من ظلم السلطات الحاكمة آنذاك .

تناولت الدراسة سيرة السلطان الناصر بأسلوب نقدي كتابات اثنين من المؤرخَين ممن ألفوا للسلطان الناصر بن السلطان المنصور قلاوون وهم ابن أيبك الدواداري واليوسفي وكشفت الدراسة مدى صدق وحيادية كل منهما أو تزلفه وميله على الحق على حساب الباطل بحسب الظروف التي كانت محيطة بهما لا سيما وأن كليهما كانا معاصرين للأحداث من سيرة السلطان موضع الدراسة .

وقسمت الدراسة إلى قسمين منها نقد وتحليل للنصوص التأريخية في كلا السيرتين فضلا عن تمهيد كان لا بد منه من أجل بيان درجة قرب ومعاصرة المؤرخَين من الأحداث سواء السياسية أو باقي مجالات الحياة واطلاعهم عليها وهذا ما يشكل أهمية لمؤلفاتهم بشكل ملحوظ ، وكانت مصادر كلا المؤرخَين عن طريق المشاهدة والسماع من المقربين للسلطان أو مشاركة الأحداث أحيانا .

تمهيد : لمحة موجزة من ترجمة المؤرخَين اليوسفي وابن أيبك الدواداري

أرخ للسلطان محمد الناصر إثنين من المؤرخين ممن عاصروا مدة حكمه ، وكانت لكليهما مكانة رفيعة داخل البلاط المملوكي فالمؤرخ ابن أيبك الدواداري(ت 736 هـ / 1335 م) هو "أبو بكر بن عبد الله الدواداري ،عز الدين أيبك لقب بالمعظمي ، ولي نيابة صرخد" (مصطفى ، 1993، صفحة 122/3)،من السلاجقة جده السابع ألب أرسلان ت 465 هـ / 1072 م ، ولقب الدواداري بمعنى الكاتب وهو أيضا لقب أبيه كونه كان كاتبا، فضلا عن مناصب عدة منها

إدارة الجهة الشرقية من البلاد المصرية ، والحفاظ على الأمن من تحركات العربان ، وتسنم كذلك منصب المهمندار ، وهو المسؤول عن إستقبال الضيوف وإستمر بتلك الوظيفة حتى وفاته عام (713هـ / 1313 م .، أما اليوسفي (ت 759 هـ / 1358 م) موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي فلقب بالمصري وعرف بابن الشيخ يحيى ، مولده في القاهرة عام (676 هـ / 1277 م) (العيني ، 1989، صفحة 6/3) وقيل سنة(696 هـ / 1296 م) ، والأصح هو التأريخ الأول كون اليوسفي شارك في معركة الخزندار عام(699 هـ / 1299 م) (العسقلاني ، 1386، صفحة 4 / 381) ووفاته أواخر عام (759 هـ / 1358 م) (اليوسفي ، 1986، صفحة 42). شغل اليوسفي مهام عسكرية منها مقدم الجيوش في الحلقة المصرية ، وكانت له مشاركات في حرب الأفرنج في اليمن (العيني ، 1989، صفحة 3 /6)، وكانت تربطه علاقات قوية مع كبار الأمراء ، أهلته تلك العلاقات بأن يرشح لترأس وفد سفارة إلى بلاد اليمن ، وكا بينا مشاركته في معركة الخزندار التي انكسر بها جيش المماليك ودخل على إثرها غازان إلى دمشق، وكانت له مشاركات ضد الأرمن (اليوسفي ، 1986، الصفحات 265–369–392). اتصف اليوسفي بالحيادية وعدم التحيز وهذا ما لمسناه في كتاباته فضلا عن ما ذكره المؤرخون من صفات حميدة ، إذ قيل عنه إنه "كان مشهورا بالمروءة ، معروفا العصبية التي هي في حنايا جواهره مخبوءة ، يصحب الكبار ويخالطهم بالمودة ...ويلازم صحبة الأعيان ويثابر،فلم تفتته صحبة رب سيف أو قلم،ولا حامل علم ولا رافع عَلم ،يتقرب إليهم بالخدم ، ويسعى على رأسه في قضاياهم على الرأس لا على القدم" (الصفدي ، 1418، صفحة 215/5)، وكانت له علاقات مهمة منها علاقته بالأمير سيف الدين أيتمش ت (736هـ/ 1335 م) متولي نيابة صفد ، والذي يعود إليه الفضل بتعريفه على كبار الولاة من المماليك ، لا بل حتى لقاؤه بالسلطان نفسه ، وبحسب ما دونه اليوسفي عن سيف الدين قال : "كان من ضمن المحسنين لي ، وسبب تقديمي بين الناس وقدمني دفعتين حتى نلت منه كل خير، وسمعت من الغرائب ما إستعنت به على هذا التأريخ وغيره،من أمور كانت تتفق له مع السلطان وما كان يتفق لي في بلاد الشرق وغيره" (العسقلاني ، 1386، صفحة 381/4) ، وكذلك علاقته بوالي القاهرة علم الدين سنجر الملقب بالخازن ت (725 هـ / 1325) (اليوسفي ، 1986، صفحة 334) و الأمير جمال الدين يوسف ت (734 هـ / 1333 م) (اليوسفي ، 1986، صفحة 272)، وعلاقته بالوزير علاء الدين بن هلال الدولة (اليوسفي ، 1986، صفحة 214) ومن رجال الدين علاقته بالشيخ فتح الدين بن سيد الناس ت (734 هـ/ 1333 م) ومن القضاة القاضي إبراهيم بن عبد الله ت (745 هـ / 1344 م) (إبن إياس ، 1983، صفحة 502/1) (الشجاعي ، 1428، صفحة 275) ومن الأطباء رئيسهم آنذاك صلاح الدين الملقب بالمغربي ت (776هـ / 1374 م) (إبن إياس ، 1983، الصفحات 144/1–161–162)الذي أشرف على الأمير بكتمر أيام مرضه ، وسيأتي فيما بعد في هذا البحث تفاصيل عن هذا الأمير وسبب مرضه الذي كان السلطان سببا فيه ، وكان اليوسفي على اطلاع مباشر بخفايا الأسرار التي دارت في بيت هذا الوالي الضحية وابنه، وأنهت حياتهما بمكيدة مدبرة من السلطان الناصر . فضلا عن عدد كبير من النخب كالتجار والشيوخ والقضاة والأعيان .

هذه المناصب الحساسة في الدولة والمقربة من كبار رجالات الدولة جعلت من كلا المؤرخين ونتاجاتهم التأريخية ما يستدعي النظر والدراسة ، إذ قدم كل شخص منها دراسة مختلفة عن سيرة الناصر بحسب ما يتمتع به كلاهما من صفات المؤرخ المحايد الصادق من غيره للعديد من الأسباب التي حاولنا دراستها في هذا البحث.

التحليل النقدي لنصوص السيرتين

حاول مؤرخا كلا السيرتين بيان شخصية السلطان محمد الناصر(693- 741 هـ / 1293 – 1341 م) وهو السلطان محمد الملقب بالناصر إبن السلطان المنصور من أعظم سلاطين الترك (الصفدي ، 1418، صفحة 73/5) تولى عرش السلطنة بعد مقتل أخيه الأشرف خليل ، وهو في الثامنة من عمره (اليوسفي ، 1986، صفحة 22)مع ذكر ما يرتبه به من جوانب سياسية وإقتصادية وإجتماعية .

تضاربت آراء المؤرخين حول شخصية الناصر ، فمنهم من ركز على تدوين الإيجابيات وغض النظر عن السلبيات ومنهم المؤرخ الصفدي ، الذي وصفه بالكريم السخي ، المهتم بالعمران (الصفدي ، 1418، الصفحات 73/5-98)بينما المقريزي فذكر أن الناصر بعد أن وصل إلى العرش وإستقرت الأمور استبد بالحكم وزاد من عمليات المصادرة والمعاقبة ، وأخذت السمعة السلبية تحل محل الإيجابية (المقريزي ت.، 1973، الصفحات 2/ 217-218). وعرف السلطان الناصر بتكبره و غروره بنفسه وشخصيته وانزعاجه من ذكر سير السلاطين السابقين له بالذكر الحسن، وحاول جاهدا طمس أي أثر لسابقيه من سلاطين المماليك القربين منه زمانا و لا سيما تلك الآثار المادية من البنى التحتية والعمرانية للبلاد ، وكان يكره أن تذكر أعمال أسلافه من السلاطين ، ومن الأدلة على ذلك أمره بتهديم قناطر السباع (الصفدي ، 2000، صفحة 212/1) كانت تلك القناطر من أعمال السلطان الظاهر بيبرس ، حملت اسم السباع نسبة إلى تماثيل الأسود الأربع الموضوعة في مقدمتها ، أمر الناصر بهدمها وبناء رموز أخرى مكانها و "كان المشهور بين الناس أن السلطان قال للأمراء أن هذه القناطر لما أركب عليها في الميدان وأعبر عليها يألمني ظهري من علوها" (اليوسفي ، 1986، صفحة 264) يتضح من مفردات النص الذي دونه اليوسفي أن الحادثة تلك كانت مشهورة ومنتشرة بين أوساط العامة واسم القنطرة كان معروف كذلك فضلا عن رأي السلطان بتلك القناطر كان معروفا لدى الأوساط من عامة الناس ، إلا أننا نعجب من أن ابن أيبك لم يتطرق لتلك الحادثة التأريخية مقتصرا بذكر إعادة بنائها بعد هدمها دون أن يذكر موضوع الهدم قائلا: "وعمل فيها قنطرة مليحة على الخليج الناصري" (الدواداري ، 1960، صفحة 320)أخفى هنا ابن أيبك إحدى صفات السلطان الناصر التي كان من المفترض أن تحويها سيرته بينما شرحها اليوسفي بكل جرأة ودقة قائلا: "وكان الأمر بخلاف ذلك وهو يكره أن يرى آثار غيره من الملوك المتقدمة ويكره مكان يعرف بأسمائهم" (اليوسفي ، 1986، صفحة 264) والذي يعضد رواية اليوسفي ما وجدناه من تأكيد لتلك الحادثة لدى المقريزي (المقريزي ت.، 2013، صفحة ج 2 / 103) ، وأكمل اليوسفي رواية القنطرة بعد أن سأل الناصر أحد غلمانه عن رأي العامة فيها فأجاب الغلام قائلا: "والله يا خوند ما بني أحسن منها ،ولكن يا خوند ما كملت ! ؟ فقال كيف ما كملت ؟ قال : يا خوند السباع التي كانت عليها شالوها (رفعوها) والناس تقول أن السلكان له غرض من شيلها كون أنها رنك (لفظة فارسية استخدمها المماليك للأشارة إلى الشعارات التي تستخدمها السلاطين كعلامة خاصة تميزهم عن غيرهم من السلاطين) (القلقشندي ، (د- ت)، صفحة 4/ 63) سلطان غيره (اليوسفي ، 1986، صفحة 265)، وأشار الغلام على سيده بإعادة السباع مكانها وبالفعل حصل ذلك خشية كلام الناس عن طبيعة السلطان الأنانية ، هنا لاحظنا شجاعة اليوسفي التي لربما إكتسبها نتيجة قربه من كبار رجال الدولة التي كانت تربطه بهم كما بينا في تمهيد من هذه الدراسة. عرف عن السلطان الناصر حبه للأموال حد الجشع ، فكان يجمع أمواله من شتى الطرق ومختلف الوسائل وتعدى في

ذلك الشرائع السماوية والقوانين المدنية ، أسبغ اليوسفي صفات الجشع والطمع على سيده وأسرد العديد من الروايات التأريخية التي تؤكد مكائد الناصر بغية الحصول على الأموال ، منها ما تمت بالاتفاق مع شخص يدعى النشو عبد الوهاب فضل الله القاضي شرف الدين ، نصراني ، عمل بمهنة الناظر الخاص ، عمل مع والده وإخوته في مباشرة خدمة الأمير الحاجب بكتمر ، مسك العديد من المناصب حتى وصل إلى خدمة السلطان مباشرة ، أعلن إسلامه وحج مع السلطان الناصر ، حقد عليه جملة من الأمراء ووشوا به وأغاروا صدر السلطان عليه حتى أمر بمعاقبته وتعذيبه حتى الموت ، بعدها أمر السلطان بقتل أهله ومصادرة أمواله سنة 740 هـ (الصفدي ، 2000، صفحة 216/19) (اليوسفي ، 1986، صفحة 452) . وإطلاق يده بعمل المصادرات وفرض الضرائب الباهضة وغير المنقطعة على التجار في مصر والقاهرة (اليوسفي ، 1986، صفحة 176) ؛ (قاسم، 1983، صفحة 52)وانطلق النشو بكل قوة طالبا رضا السلطان و "التقرب لخاطر السلطان وميله مع غرضه وأن يبلغ مقاصده ، إذ بلغ مقصده من أخذ أموال الناس وظلم التجار ونهب الأموال من حيث وجدت (اليوسفي ، 1986، صفحة 177) ؛ (قاسم، 1983، صفحة 52)، كان الناصر يأمر ولاته بالسيطرة على أموال التجار عنوة ، ومن هؤلاء الولاة الذي يدعى إيدكين (علاء الدين البريدي الأزكشي كان من أتباع نائب الرحبة بدر الدين محمد الأزكشي توفي عام 740 هـ .) (الدواداري ، 1960، صفحة 378) كان هذا الوالي يشبه بالكابوس الذي يجثو على صدور العامة من الناس في سكناتهم وغفلتهم ، كان يتجسس بنفسه ويراقب في محاولة منه للانقضاض على أي فرصة تسنح أمامه صغيرة أو كبيرة للحصول على الأموال وإيصالها إلى سيده السلطان تعبيرا منه عن الولاء والطاعة ولكسب رضا الناصر ووده ، وكانت أعماله تلك مباركة بموافقة السلطان (اليوسفي ، 1986، صفحة 194). عمل إيدكين على تغير بعض القوانين القديمة والثابتة منذ أيام والد الناصر وبالتحديد من عام (658 هـ / 1259 م) إذ قرر السلطان المنصور منع التظاهر بشرب الخمر (إبن عبد الظاهر ، 1962، صفحة 58) وفرض على من يتجاهر بشربه ضرائب ، أما في عهد السلطان الناصر فقد أجرى تعديلا على القانون السابق ضيق الخاق به على أصحاب الخمور ، إذ فرض الضرائب على الذي يحتسيه وهو في بيته ، لم تكن الغاية وراء ذلك التعديل دينية أو أخلاقية بل كانت مادية بحته لكسب الأموال ، ويذكر أن الوالي إيدكين كان "يمشي في أزقة المدينة ويستمع على من في بيته غناء أو شرب يكبسه ويعريه ويأخذ منه المال يحمل بعضه للسلطان فأعجبه ذلك وشكر إيدكين وأنه يلازم ما أعتمده ولا يلتفت إلى أحد ، وأفتك في مصر إفتاك عظيم" (اليوسفي ، 1986، صفحة 296)، صور ابن أيبك تلك الحادثة لكن من منظار مختلف ، بين فيها حب السلطان وحرصه على رعيته ومعاقبة من يؤذي عامة الناس ويصادر أموالهم" (الدواداري ، 1960، صفحة 378) وهو بذلك إنحاز للسلطان على حساب الحق ، وأن السلطان كان عكس ما صور تماما إذ كان يوصي باختيار الولاة والموظفين أن "يبصروا له كاشفا يكون ظالما" (اليوسفي ، 1986، صفحة 254)فذكروا له شخص يدعة ابن المرواني (هو علي بن حسن تولى على ولاية البر في الشام عام 722 / 1322 ، أرسل السلطان الناصر بطلبه وعينه على الصعيد ثم على القاهرة ، عرف بظلمه وسفكه للدماء ، مات عام 740 هـ) (إبن تغري بردي ، (د – ت)، صفحة 9/ 323). عرف بالظلم وعدم الرحمة ، طلب السلطان مقابلته وعند اللقاء أخبره أن "قد شكروا لي منك وأنا أريد تعمل عمل أرضي عنك به ... (فأجاب) عليَّ أن أرضيك وأسخط الله تعالى" (اليوسفي ، 1986، صفحة 254)ما أغرب الطلب وما أعجب الرد ! ، على أية حال وصل المرواني إلى أعلى المناصب متسلقا بوسائل التعذيب والقتل والظلم والمصادرات ، إذ كان يعمل المجازر بعامة الناس ، ويقال أنه في أحدى تلك

المجازر عمل على "نصب الأخشاب ووسط الجميع فكانوا مائة وعشرون خشبة" (اليوسفي ، 1986، صفحة 455)كانت تلك الأعمال بموافقة السلطان ودرايته ، ومن أعماله كذلك افتعاله أزمة إقتصادية وعم الغلاء بالأسعار وعوقب مجموعة من "الخبازين والطحانين وقتلت أناس كثيرة بالمقارع وبقيت الناس في شدة من أمرها وغلقت المدينيتن مصر والقاهرة وصارت الناس لا يجدوا الخبز إلا بشدة عظيمة" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 295–296). وما قام به النشو من زيادة الضرائب على تجار المواشي والأغنام؛ مما أدى إلى ارتفاع سعر اللحم ونقطاعه من الأسوق حتى وصل سعر رطل اللحم درهم وربع ، بسبب زيادة الضرائب "وبقيت الناس في ألم عظيم من هذا ولم يجسر أحد على الكلام في أمره لئلا يعلموا من ميل السلطان إلى ذلك" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 346–347) (المقريزي ت.، 1973، صفحة ج2 / 240).

تجاوز ابن أيبك ولم يدون تلك الروايات المهمة وما حل بالعامة من الناس من ظلم وقتل ومصادرة وكلها بموافقة السلطان، وقام بعكس الصورة ووصف مدة حكم الناصر وسلطنته بالرخاء الاقتصادي معنونا موضوعا مستقلا بالتفاصيل الكاذبة التي تبين الإزدهار بحسب إدعائه ورخص الأسعار سنة 726 هـ / 1325 م مرجعا سبب الرخاء ورخص الأسعار إلى زيادة نهر النيل (الدواداري ، 1960، صفحة 320).

ومن جملة الولاة الظلمة الذين استخدمهم الناصر لتحقيق سلطته المستبدة شخص اسمه لولو (بن عبد الله الحلبي ضامن حلب عمل بوظيفة شاد الدواوين في حلب وعمل على مصادرة أموال الناس وتفنن بإيذائهم ، مات سنة 742 هـ) (العسقلاني ، 1386، صفحة 359/3) تسلطن على أهل مصر وحلب وعمل القبائح والفواحش (اليوسفي ، 1986، صفحة 190) وهذا ما أكده الصفدي في ترجمته للأمير لولو (الصفدي ، 2000، صفحة ج 24 / 309) ، واستمرت أعمال هؤلاء الولاة لسنوات طوال وأنعكست توابع تلك الأعمال ليست على الجانب الإقتصادي وإنما على الحياة الاجتماعية والسياسية ، فبعد أن زاد تدخل النشو بمصالح التجار بكثرة المصادرات لصالح السلطان ، ثارت الثائرة ضد الوالي الظالم وبعد التحقيق معه كان نص جوابه: "أنا فقط جاهرت الأمراء بالعداوة والرأي رأي السلطان" (اليوسفي ، 1986، صفحة 128)، ونقل أيضا اليوسفي اعترافا صريحا على لسان السلطان الناصر نفسه بعدما ألقي القبض على النشو قال "مسكين النشو ما وجدت أحد يحبه كونه ينصحني ويحصل مالي" (اليوسفي ، 1986، صفحة 128)، نستنتج من نص اليوسفي أن له علاقات قوية تربطه مع كبار رجالات الدولة والدليل على ذلك ما نقله عن السلطان محمد الناصر فضلا عن شجاعته في نقل اعترافات الناصر بذكره لمكائده وأسراره في خلجاته؛ وهذا ما يؤكد تمتعه بحصانه وسند قوي مكنه من التدوين دون وجل أو خجل ، وأكد بأكثر من مناسبة سخطه من شخص السلطان وانتقاده له، ومثال ذلك ما ذكرناه من اتفاقه مع النشو على عمل القبائح استهلها بنص: "النشو أتفق مع السلطان الناصر على أمور كثيرة نذكرها ... وجمع رأيه على مصادرات وشرع في ذلك ... وكذلك طرح على سائر التجار في مصر والقاهرة" (اليوسفي ، 1986، صفحة 176) وكذلك: "إتفق معه على خراب البيوت العامرة وهتك الحريم وتحصيل الأموال وأنه يتعرف في الدولة كيف يختار ويحكم في سائر الأمور ، وخرج وقد ملئت نفسه سرورا بحكمه وإستبشر بما قلدة من جوره وظلمه وعلم أنه نال أغراضه من أعدائه وملأ في مسرته ما تمناه" (اليوسفي ، 1986، صفحة 190).

لم يكن حال أصحاب محلات الصاغة وأهل الصيرفة أفضل حال من التجار ، فقد صدرت بحقهم قوانين وقسم منها مستحدثة منها: "أن لا يبيع أحد شيئا من الذهب والفضة إلا بعد أن يدخل به دار الضرب ويسبكه ويخرج به هرجة (هي

دنانير تستعمل في صناعة الحلي كالأساور والعقود وغيرها المسكوكة بسكة الإسلام) (الأسيوطي ، 1996، صفحة 26/1) باع بالقيمة" (اليوسفي ، 1986، صفحة 292)، وجمع من هذا القرار أموال طائلة و "توقف حال الصيارفة أياما ثم مشى أمرهم على ما أختاره النشو" (اليوسفي ، 1986، صفحة 292).

ارتكب النشو أبشع الظلم في سبيل الوصول لغايته بجمع الأموال وإيصالها للسلطان لكسب وده وذلك بتعديه على أموال كانت مخصصة للأيتام بعد طلب السلطان الأموال المتفق عليها ، وبعد أن اعتذر النشو بعدم تمكنه من جمع المال غضب السلطان فما كان من النشو إلا أن قام من فوره بسحب الأموال التي كانت مخصصه للأيتام وبعد أن رفض مسؤول دار الأيتام تسليمه المبالغ المالية باعتبارها أمانة وليس من حق أي شخص وإن كان شخص السلطان التصرف بها ، وبعد أن أرسل الناصر رسالة تهديد ووعيد إلى أمين خزينة أموال الأيتام ما كان من الأخير إلا أن حمل "ستة آلاف دينار وأرسلها للنشو" (اليوسفي ، 1986، صفحة 294) (المقريزي ت.، 1973، صفحة ج 2/ 393).

وسجل لنا اليوسفي رواية أكدت بكل معاني كلمات الجشع والطمع التي كان السلطان الناصر يمتلكها ، وهي استحواذه على أملاك أحد الأشخاص من أفراد الجيش اسمه موسى بن إسحاق بن عبد الكريم(شمس الدين ناظر الجيش وناظر الخاص تولى الوزارة في دمشق أكثر من مرة ، مات سنة 771 هـ / 1369 م) (اليوسفي ، 1986، صفحة 120) سمع الناصر أنه ورث عن والده أموال ومجوهرات فأمر باعتقاله وتعذيبه ، وبعد أن رفض موسى البوح بمكان الأموال والمجوهرات ، شحن النشو صدر السلطان ضد ابن إسحاق مشيرا إلى احتمال وجود الأموال لدى زوجة موسى ، فما كان من الأخير إلا أن أمر بتكليف بدر الدين لولو المعروف بقسوة القلب وحسبما وصفه اليوسفي "وتسلط لولو على أهل حلب وأهل مصر وبذل من القبائح والفواحش في أمر الظلم والعسف والعقوبة ما تجاوزت عن حده" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 189–190) (المقريزي ت.، 1973، صفحة ج 3 / 203) و وصف أيضا حال زوجة موسى قائلا: "أتفق في أمرها ما لا يسمع به أحد من دولة من الدول ولا بلغ أحد من الظلم مبلغها وهي أنها كانت حامل وأحضروها إلى العقوبة فعوقبت بالمعاصير والكسارات" (اليوسفي ، 1986، صفحة 261) واستمروا بتعذيبها إلى يوم ولادتها ، وولدت وهي تحت التعذيب وكان المولود ذكرا ، كانت صرخاتها تسمع وهي تحت التعذيب ورقت لها قلوب من سمعها ، وبعثوا إليها بقطع من القماش للف وليدها وستر جسدها ، وقيل عندما سألتها النساء المقربات منها عن تحملها للتعذيب والألم "يا أختي كيف كنت تحملي هذه العقوبة ؟ وأنها قالت والله يا أختي ما كنت أعرف بضرب ولا بعصر إلا أول وهلة ولم أرجع أحس بشئ مما صنعوه" (اليوسفي ، 1986، صفحة 261) وكان "الأمراء والجند والعامة تقف في بعض الأوقات يسمعوا عقوبتها وعقوبة زوجها" (اليوسفي ، 1986، صفحة 262)، سمع بمظلومية موسى وزوجته الأمراء والجند وكذلك عامة الناس بحسب ما تبين من النص أعلاه إلا أنها لم تصل إلى ابن أيبك ولم يذكرها في سيرة السلطان الناصر، ويبدو أنه كان خجلا من تدوين تلك الأفعال الشنيعة ومدى الظلم والواقع على الناس البسطاء ، ولم يكتف بالسكوت فحسب ، بل راح يبحث ويفتش عن الأعذار لتغطية تلك القبائح وبيان موسى بصورة المقصر الخارج عن طاعة سلطانه بنص عابر قائلا : موسى ابن القاضي تاج الدين باشر وظيفة ناظر الخاص بدلا عن أبيه بعد وفاته ، وأستقرد وأستغل بالمنصب (الدواداري ، 1960، صفحة 362)خافيا الجرم البشع الذي لحق بموسى وعائلته لاقيا عليه سبب تفرده بالمنصب ، وفي موضع آخر ذكر عبارة غير واضحة القصد حول نهاية موسى "ثم كان من موسى ما كان ...وقبض على أخيه علم الدين ناظر الدولة يوم الخميس سابع عشر من شعبان المكرم ... أما أولاد التاج إسحاق فأنهم صودروا

مصادرة صعبة وضربا وأسقيا الخل والجير وحمل من جهتها ما حملته ثلاثة وأربعون ألف دينار عين معربة حمل إلى بيت المال المعمور" (الدواداري ، 1960، الصفحات 363–364)، المهم والأهم عند ابن أيبك حاله من حال سلطانه هو بيت المال الذي يجب أن يكون معمور مهما كانت الوسائل لإعماره بالأموال ، وكانت صفة السلطان تلك معروفة عند الأمراء لا بل حتى عند عامة الناس ودليلنا على ذلك عثورنا على نص وجدناه لدى مؤرخ بعيد وغير مستفيد من السلطان الناصر إذ وصفه بالحرص والتقتير رافضا إخراج الأموال من بيت المال ، وكان يعيب على الأمراء صرف المال ، وعند ترجمته لأحد الأمراء قال "كان كريما ويتباخل خوفا من الملك الناصر" (إبن تغري بردي ، (د – ت)، صفحة 302/9)، لا شك بأن هذا الخوف قد تولد بسبب حرص السلطان الزائد وسعيه في جمع الأموال . مهما فعل الظالم من ظلم فإن رحمة الله أوسع التي شملت موسى وأنقذته ، فقد هيأ الله له مخرجا من تلك الظلمات ، فبعد أن لاقى موسى أبشع أنواع وصنوف التعذيب ظن الجلاوزة أنه مات ، ووصل خبره إلى السلطان وأن رائحته النتنة قد ملأت السجن ، فكان قرار السطان بتركه فإن عاش وأن مات سواء (اليوسفي ، 1986، الصفحات 348–349).

ومن مصادر جمع الأموال هو بيع المناصب عن طريق الضمان ، إذ يسلم المنصب للشخص الذي يدفع أكثر ، ويتسنم الشخص المنصب بحجم ما دفعه من أموال ، وعلى سبيل المثال ما حدث لشخص يدعى الفأر (ناصر الدين أحد ولاة القاهرة عرف بالقسوة والظلم) (المقريزي ت.، 2013، صفحة 240/2) تسلم ولاية القاهرة بعد أن تم الأفراج عنه ، وتولى هذه المهمة الصعبة والحساسة وكأن تكن مكافأة على جرمه الذي أدخل لأجله السجن و "رأت الناس به شدة عظيمة فوقفوا وأستغاثوا حتى صاحوا يكفينا النشو فلا تسلطوا علينا الفأر" (اليوسفي ، 1986، صفحة 371) . مثل هذه الأحداث وحسب النصوص السابقة كانت واضحة عند جمهور العامة وكان الفرد من الشعب يحلل ويدرك مساوئ الحكم وانعكاسه على مجالات الحياة ، إلى أن وصل الحال أن خاف الناصر من قيام ثورة شعبية ضده ، فاستدعى على إثر تداعيات الثورة السابقة النشو ووبخة لتوليه الفأر ولاية القاهرة وأنكر النشو مبينا أن "لولو الذي أخرجه وضمنه...فرسم بطلبه وحبسه ويكتب على قيده مخلد" (اليوسفي ، 1986، صفحة 343).

من بين الأحداث السياسية والاجتماعية في الوقت نفسه والتي دونتها كلتا السيرتين ، حادثة المصاهرة السياسية بزواج السلطان من طولوبية أخت أزبك خان (أزبك بن طقطاي صاحب بلاد أزبك أعلن إسلامه وإسلام رعيته ، كان يحرم لبس الذهب ويحب الفقراء ويقربهم ، وطولوبية أخته وقيل أبنته، مات سنة 740 هـ) (الصفدي ، 2000، صفحة 237/8)، ذكر ابن أيبك تلك الحادثة بصورة سردية حملت عبارات التفاخر مصور أن المغول هم الذين رغبوا بتلك الزيجة تقربا من السلطان وأنه كان "المخطوب لا الخاطب" (الدواداري ، 1960، الصفحات 303–304)، متناسيا المصالح السياسية المتبادلة بين الطرفين وصور لنا الحادثة من زاوية واحدة ، لأن الحقيقة وراء تلك المصاهرة هو الوحدة ضد مغول فارس وسلطانهم أبي سعيد 716 – 736 هـ / 1316 – 1335 م) ، وكان السلطان مرحبا بهذا التعاون ، اكتفى ابن أيبك بهذا القدر وعدم تكملة ما جرى بعد ذلك للزوجة الضحية ، إذ جيء بها إلى أرض مصر وأصبحت ألعوبة بيد الأمراء بعد أن طلقها الناصر ، وبعد مدة قصيرة من طلاق طولوبية تزوجها عدد من الأمراء ومنهم الأمير منكلي بغا أحد أمراء الألوف والأمير سودون والأمير أرغون (إبن تغري بردي ، (د – ت)، صفحة 47/1) (الصفدي ، 2000، صفحة 230/8)، وبعد وصول الأخبار إلى أزبك أرسل عددا من الرسل للاستفسار عن حال أخته ، فكان جواب السلطان للرسل بأنها ماتت ! ، وهناك تعليل من أحد الباحثين على أن ما فعله السلطان بطولوبية وتزويجها عددا من الأمراء

كانت غايته من ذلك هو كسب صفهم بجانبه وتأييدهم له (ضاحي و مصطاف ، 2008، صفحة 91)، وبالمقارنة في كتاب السيرة الآخر لليوسفي تتكشف لنا الحقائق ويتبين أن الزواج لم يستمر إلا أياما "دخل بها وبعد أيام أخرجها لبعض مماليكه" مبينا بكل صراحة كذب الناصر عند إخبار الرسل بموت طولوبية (اليوسفي ، 1986، الصفحات 348-349)، على العكس من ابن ابيك الذي نجدة يذكر حادثة بعد عدة سنوات وبالتحديد عام 728 هـ / 1327 م (الدواداري ، 1960، صفحة 345)، ويصف أزبك بلقب نسيب السلطان متناسيا أن السلطان طلقها بعد أيام وما جرى لها فيما بعد من أذى وتعذيب نفسي بكثرة زواجاتها من الأمراء ، وكانت ضحية من أجل المصالح السياسية وكسب الولاءات وأشار ابن حجر بصراحة إلى نوايا الناصر من تلك الزيجة بعد أن أرسل أزبك خان رسولا يسأل عن أحوال أخته يقول: "هذه بنت من بيت كبير فإن أعجبتك فلا تكن عندك أعظم منها وإلا فإعمل فيها بقوله تعالى :أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها...فقال الناصر :إنا لم نطلب الحسن وإنما طلبنا كبر البيت وأن نكون شيئا واحدا" (العسقلاني ، 1386، صفحة ج1 / 471) .

- من صفات الناصر الشاذة وغير السوية هي ولعه بالنساء الجميلات ، ووصل به الحال أنه كان يعجب حتى بالنساء المتزوجات ، وكثيرا ما كان الضحايا من زوجات الأمراء ، فكان يعمل المكائد كي يحظى بهن ، حيرت تلك الصفة المؤرخ المتزلف ابن أيبك وحاول جاهدا تغطية أفعال سيده المشينة بمحاولات ضعيفة ، ومن تلك المحاولات ذكر سلاطين سابقين وحكام كانوا على تلك الشاكلة وإظهار تلك الأفعال على أنها مباحة لدى معشر السلاطين ، وعلى سبيل المثال ذكره الخليفة العباسي المأمون (189 – 218هـ) والطريقة التي تعرف بها على زوجته بوران (الذهبي ، 1993، صفحة 172/11) (الزركلي ، 1980، صفحة 77/2) معتمدا في نقل خبره حسبما صرح على كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (الدواداري ، 1960، الصفحات 156-167) اقتبس بحدود الخمس صفحات ولا نعلم ما الغاية من ذكر من سرد حادثة قديمة بعيدة عن زمن السيرة المقصودة أدت بالمؤلف أن يخرج من وحدة الموضوع ، مسهبا فيه ، وإن كان لأجل الشاهد ، كان يكفي أن يذكره عابرا بإشارة بسيطة إلا أن ابن أيبك كان قاصدا إبعاد ذهن القارئ عما اقترفه الناصر من أمور مخلة وبعيدة عن المجتمع والتعاليم الإسلامية ؛ صور في وصفه زوجة الخليفة العباسي المأمون بوران بأنها مغنية شاربة للخمر بيتها مرتع يترزده الرجال من خلال سلالم متدلية من نوافذ الدار ذاكرا أن "زنبيل مدلى من حايط مفروش وله عطرية حسنة وهو مشدود بأربعة حبال" (الدواداري ، 1960، صفحة 323)، وبعد تقصي صحة تلك الرواية ، ورجوعنا إلى كتاب العقد الفريد الذي اقتبس منه مادته كشاهد حسبما أراد ، الغريب الذي وجدناه أننا عثرنا على تلك الرواية ولكن ليس كما ذكرها ابن أيبك ، إذ إنه عمل على استلال جزء منها مشيرا إلى أخلاق زوجة المأمون وحضور الخليفة العباسي تلك الأماكن للهو والطرب ، ولم يكمل الرواية بشكلها وأصلي والصحيح ، كون ابن عبد ربه بعد أن أسرد تلك الحادثة ذيلها بجمل تضعيف وأدلة وشواهد وبراهين تؤيد وتؤكد كذب الرواية وتبرئة بوران ، مشيرا إلى أن تلك الرواية وصلت إليه عن طريق السماع ، فضلا عن ذكر الصفات الحسنة والحميدة التي كانت تتمتع بها زوجة المأمون ، بعد أن سأل إحدى العجائز ممن كن في خدمتها والتي أثبتت تزكيتها من تلك الأفعال الوضيعة وأنها صاحبة عفة وأخلاق قائلة : "ولا شاهدت من النساء إمرأة كبوران في عقلها وأما معرفتها وأدبها فما أظن أن يتهيأ له أن يقف له من العلوم ما وقفت عليه ولقد عاشرت الظرفاء والملاح والأدباء أكثر من أن يقع عليه إحصاء ولم يكن جرى بينهما مكروه ولا خنا (الفاحش من الكلام) ولا كلمة قبيحة ولم يكن مذهبها في ذلك إلا حب الأدب والمذاكرة ومعاشرة الظرفاء وأهل المروءة والأقدار والتبل

والأخطار لا لريبة تظهر ولا لحالة تنكر" (إبن عبد ربه، 1983، صفحة 167/8)، وعند مقارنتنا بين الرواتين تتبين الحقائق واضحة وجلية ، وتتوضح براءة بوران بنت الفضل بن سهل وبراءة المؤرخ ابن عبد ربه الذي نقل قولا سمعه بشك وبحث عن الحقيقة ونقله من المقربات من زوجة المأمون . وفي النهاية حاول ابن أيبك تدارك الموقف الذي جعله في حرج كونه ابتعد وخرج عن وحدة الموضوع وعن سيرة السلطان قائلا: "ثم أن العبد خرج من شرط الأختصار ...وإنما سقنا هذا الكلام لفوائد عدة أحدهما أن الكتب تمل إذا كانت على منوال واحد في الحديث فقصدنا تطريز الكلام بنوادر الأحكام والأخرى ليكون ذلك ردا على من يتشرع بغير شرع ويدعي في العلم فلسفة فنقول ما أنفق من هذا المهم ...فقصدنا أن مولانا السلطان متبع لا مبتدع مقّصر في كل أمر مخترع لا يخرج عما أسنته السلف وأنه أعز الله أنصاره نعم الخلق أعد الله إلى كافة المسلمين ظله ورفع فوق السماكين محله" (الدواداري ، 1960، صفحة 342)، قلب ابن أيبك الموازين من التعاليم الإسلامية والأعراف الصحيحة ونظر إلى الخمر ودور اللهو والطرب من المسلمات الصحيحة دامها تقليد سابق من الحكام السابقين ، وتعمد الكذب وزور رواية السابقة بالنقل المبتور من مؤرخ آخر مدعي الكذب على زوج المأمون .

ومهما يكن من أمر فإن صفة السلطان الشاذة وولعه بالنساء وطلبهن دون أي حق كانت مكشوفة من قبل اليوسفي صاحب القلم الحر والرأي الشجاع والقول الصادق ، الذي جسد لنا بأكثر من رواية مكائد الناصر ومغامراته الدنيئة في سبيل الحصول على الجميلات من النساء وإن كلفه الأمر قتل أزواجهن (اليوسفي ، 1986، صفحة 152) حفظ لنا اليوسفي ودون جريمة من جرائم الناصر وما قام به من مكر وغدر بمساعده النائب بكتمر من مماليك المظفر بيبرس انتقل إلى خدمة السلطان الناصر وشغل وظيفة الساقي) (الصفدي ، 2000، صفحة 121/1) وابنه أحمد بن بكتمر (سيف الدين بكتمر كان حسنا وجيها شغل عدة مناصب حتى وصل إلى مقدم ألف تزوج من أبنة تنكز توفي سنة 733 هـ بعمر العشرين سنة بعد مرض ثلاثة أيام وتزوج السلطان بزوجته) (الصفدي ، 2000، صفحة 166/1) بعد أن حضر السلطان الناصر حفل زفاف أحمد بن بكتمر وبارك للعروسين مقدما هدية بقيمة ألف دينار ، حاول بكل الطرق أن يرى العروس ، وتم له ذلك "ووقع نظره عليها وكان له شغوف كبير في أنه إذا رأى إمرأة سمراء ولها عيون سود وفيها طول شغف بها ومالت نفسه لها" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 151-152)، وقيل أنه لم يلحظ شكلها بصورة واضحة إذ كانت النظرة خاطفة وسريعة فأخذ يتردد على بيت بكتمر ويطلب من أم أحمد إحضار العروس وقيل أن السلطان "لم ير بقية وجهها فصار يدخل إليها ويقول : يا أم أحمد هاتي زوجة أحمد فتحضرها إليه ويجعلها على ركبته ثم إلى جانبه ويطلب أحمد ويجعل الأثنين قدامه ، وفي بعض الأيام يضع رأسه على ركبة زوجة بكتمر ويبقى ينظر إليها ويتملقها" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 153-154)، تنبهت زوجة بكتمر من تصرفات السلطان المريبة وأحست بسوء النية وأخبرت زوجها بالذي يدور في منزلها وإحساسها بإعجاب السلطان بزوجة ابنها أحمد وأضافت "يا أمير المؤمنين ما يخرب بيتي أحد غير هذه البنت فيا ليتنا ما كنا عرفناها" (اليوسفي ، 1986، صفحة 153)، إلا أن بكتمر هدأها على الرغم من أن داخله كان يعرف نية السلطان إلا أنه أراد الإبتعاد عن المشاكل بقوله: "ربما السلطان يقول هذا الكلام طيبة خابر لأجل أبوها" (اليوسفي ، 1986، صفحة 153). تكررت مثل تلك الصور بين السلطان وحريم بيت الأمير بكتمر إلى أن جاء اليوم الذي أخبر فيه السلطان الناصر زوجة الأمير بكتمر بإعجابه بزوجة إبنها وبصريح العبارة قائلا "يا أم أحمد والله لو علمت أن بنت تنكز لها هذا القد وهذا العنق وسواد هذه العيون ما كان يتزوجها

أحد غيري وأنا أطلب مثل هذه الصفة ما يقي لي شئ" (اليوسفي ، 1986، صفحة 153) كشف لنا اليوسفي وأكد بالعديد من الروايات هذه الصفة لدى الناصر ، وأكد بأنه لم يذكر أي رواية في كتابه ومؤلفه هذا إلا بعد أن يشيع أمرها بين الأوساط العامة والخاصة قائلا "أنني لم أذكر شئ عن أمر وقع إلا ممن أثق به ويشهر أمره بين الجماعة ويشاع" (اليوسفي ، 1986، صفحة 154)، وهذا دليل آخر على أن مصادر اليوسفي كانت قريبة من البلاط الملكي ، ومع شيوع الخبر إلا أن ابن أيبك أخفاه قاصدا . وفي النهاية وصل الناصر إلى مبتغاه وعمل على سقي أحمد السم ، ولم يقتصر على ذلك الجرم بل تعداه إلى سم والده بعد ثلاثة أيام من سم الابن خوفا من ردة فعله ، وأشار اليوسفي صراحة بأصبع الإتهام إلى شخص السلطان بمقتل بكتمر وأبنه أحمد ، مبينا أن شخص من بطانة السلطان تربطه معه رابطة صداقة أخبره أن السلطان بعد هذه الحادثة "ما خرج من مكة وما رآه نائما نوما هانئا إلا ليلة توفي بكتمر" (اليوسفي ، 1986، صفحة 154)، وخلال أيام العزاء كانت زوجة بكتمر تصرخ وتقول: "السلطان هو من قتل ولدي وزوجي" (اليوسفي ، 1986، صفحة 158)وعلى أثر ذلك استدعى الناصر المرأة الثكلى بزوجها وولدها معاتبا إياها في قوله: "نسيتي الذي قلتي وأنت تصيحي عليّ وتقولي : قتلت زوجي وولدي ؟ أنا إيش كنت من قتلهم ؟ قتلهم الله تعالى وفرغ أجلهم ... ولو كان غرضي من قتله أو مسكه من كان يمنعني منه" (اليوسفي ، 1986، صفحة 158)، فما كان من زوجة بكتمر إلا أن تسترت بجوابها خوفا من الظلم والجور الذي من الممكن أن يلحق بها كما طال زوجها وأبنها ، فأجابت معتذرة وإنها قالت تلك الكلمات من شدة الحزن وحرقة القلب وشدة المصاب لم يبق لها "عقل أعرف به ما أقوله إن خطأ أو صواب" (اليوسفي ، 1986، صفحة 159). كشف اليوسفي حقيقة حاول غيره إخفاءها وهي دليل قاطع على شجاعته وصدقه فينقل الحقائق ، إذ كان لا يخاف في الحق لومة لائم ، مبينا بكل صراحة ووضوح شخصية الناصر قائلا "كان فيه من المكر والدهاء ما لا قدر عليه ملك غيره فأخذ يدبر أمره ويلاطف بكتمر أن يبصر زوجته وأهله إلا أن ركب فهو بجانبه وعند النزول جالس هو وإياها" (اليوسفي ، 1986، صفحة 137). تلاعب وتحايل ابن أيبك من أجل التدليس عن تلك الحادثة وجاهد في سبيل إبعاد أصابع الإتهام عن السلطان بإقترافه جريمة قتل بكتمر وإبنه مبررا دون إنتباه مشيدا بعلاقة السلطان الطبيعية مع بكتمر "له من مولانا السلطان منزلة لم يكن وصلها أحد من قبله ولا وصلها أحد من بعده" (الدواداري ، 1960، صفحة 394) وذكر نصا على لسان الأمير بكتمر بقوله: "إنني منذ خدمتي في سنة ثلاثة وعشرين وسبع مائة إلى هذا اليوم مدة عشر سنين ما خلا حسابي قط يوما واحدا من أنعام يتجدد من مولانا السلطان للمخدوم من ساير الأنواع المستحسنة من إنعامات الملوك" (الدواداري ، 1960، صفحة 395) تستطيع أن نتحسس ما أخفاه ابن أيبك من تلك الدلالات ، والنية القلبية السرية الغير مرغوب بكشفها ، إذ نجده من غير مناسبة يجرد إنعامات وأفضال السلطان وتكريماته للأمير المغدور بكتمر من عقار وذهب وطائر جارح ، لا بل حتى ذكره المأكل والمشرب ، وفي ختام كلامه أشار إشارة بسيطة وغير واضحة بعبارة تغير السلطان على الأمير بكتمر دون معرفة الأسباب قائلا "نُقل الأمير سيف الدين بكتمر... بسبب تغير الخواطر السلطانية" (الدواداري ، 1960، صفحة 148)وعند وصوله إلى تدوين سنة وفاة بكتمر وولده قال "توفي الأمير سيف الدين بكتمر الساقي وولده أحمد رحمهما الله تعالى" (الدواداري ، 1960، صفحة 270) دون ذكر للأخبار التي أشيعت بين العامة والخاصة عن سبب وفاة الأب وابنه في الأسبوع نفسه ! .

لم ينته الظلم الذي وقع على عائلة بكتمر عند هذا الحد بل تعداه ، إذ يقال إن أحد الأمراء كان يدعى بشتاك سيف الدين من بلاد أزبك أحد كبراء الأمراء في سلطنة الناصر ، بنى جامعا وقصرا في مدينة القاهرة ، مات سنة 742 هـ/ 1341 م) (اليوسفي ، 1986، صفحة 130) كان معجبا بزوجة الأمير بكتمر وصارح السلطان الناصر بذلك واصفا جمالها وأخلاقها العالية وذكاءها الخارق ، فما كان من الناصر إلا أن واعده بها وطلب منه الصبر لحين نيل مراده قائلا: "طول روحك بقي قريب وحياتك وهي وماله الجميع لك" (اليوسفي ، 1986، صفحة 154) وبالفعل تم التخلص من بكتمر وابنه كما بينا للفوز بزوجاتهم بكل ظلم .

مثلما يقال كان الله بالمرصاد ولقي السلطان الناصر جزاءه في دار الدنيا قبل دار الآخرة ، وتجلت عدالة الله سبحانه وتعالى بأن عقابه كان من جنس أفعاله ، إذ أصيب بمرض الشك ، واتهم زوجته طغاي (الزوجة الكبرى للسلطان الناصر محمد ، وأم ولده آنوك التي كانت جاريته في أول الأمر ثم أعتقها وتزوجها ، وهي أخت الأمير سيف الدين أبغا ، ماتت بمرض الطاعون الذي إجتاح مصر عام 749 هـ) (الصفدي ، 2000، صفحة 256/16)الخوند بأكثر من مرة بالخيانة ، وكانت تلك الإتهامات المتكررة مع أكثر من أمير ، ويصل به الحال إلى تحليف السلطانة ، وكانت تحلف أيمانا مغلظة بتكذيب تلك الإتهامات والأقاويل (الشجاعي ، 1428، صفحة 65).

استفحل هوس السلطان الناصر وولعه بالنساء وبالطرق الغير مشروعة ، ووصل به الحال أن أمر النشو بتكليف النساء المولدات أن يفتشن له عن النساء الجميلات كونهن يترددن على بيوت الناس وكان "غرض في الجواري المولدات وأن يحصلهن من أي جهة كانت ، فكتب إلى مباشرين الوجه القبلي وعرفهم المقصود وما بقي أحد من المباشرين والتجار من الوجه القبلي إلى أن يقرب بخاطر النشو بكل ما يقدر عليه ، حتى حملت له البنات الأبكار والجواري الحسان وصاروا يعرفوه بكل من عنده بنت أو جارية أو زوجة مليحة" (اليوسفي ، 1986، صفحة 131). كان هذا حال ولاة أمر البلاد الإسلامية آنذاك من سلطان وأمراء ، بعيدين عن تعاليم الدين الإسلامي والأخلاق والمبادئ الصحيحة ، فإذا كان كبير الدولة بهذه التصرفات العلنية كيف يكول حال عامتها وخواصها ، إذ وصل بهم الحال إلى جلب نسائهم ومحارمهم لكسب رضا السلطان ، والحقيقة إذا ما تخيلنا الوضع أعلاه نستطيع أن نقول إن من غير الممكن أن يحدث لو لم يكن هنالك خوف من ظلم يصل إلى درجة القتل والتصفية ، ومع كل ما حدث لم يذكر ابن أيبك تلك الأحداث .

اجتمعت بشخص لسلطان الناصر العديد من الصفات المنبوذة ، فعرف بالغدر والإنتقام ، سجل لنا اليوسفي نصا على لسان نائب الشام سيف الدين تنكز (يعرف بسعيد جيء به إلى مصر وهو صغير ، ولاه السلطان الناصر على ولاية الشام وكان لا يرده في شئ إطلاقا) (العسقلاني ، 1386، الصفحات 2/55-56) وقيل فيه: "إذا بغض إنسان لا يمكن بقياه" (اليوسفي ، 1986، صفحة 124)، إي لا يبقيه على قيد الحياة ، وذكر أنه في أحد المرات استدعى الناصر نائب الشام فخاف الأمير كثيرا وجهز نفسه بعد أن أودع عياله وماله بمن يثق به وقيل ~أنه كتب وصيته ، وعند دخوله على الناصر وقد بانت عليه علامات الخوف والإرتباك ، سأله السلطان هل سمعت بموت بكتمر وولده أحمد ؟ فأجاب بعد أن زاد خوفه نعم والعاقبة على خير ؟ وبعد أن أنتهت المواجهة مع السلطان على خير "خرج وهو لا يصدق سلامة نفسه" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 124-125) كان ذلك الخوف موجودا في نفوس أغلب الأمراء وحتى المقربين منهم ، وخير مثال على ذلك النص أعلاه ، فعلى الرغم مما كان يتمتع به الأمير من مكانة مقربه وكان لا يرد له طلبا إلا أنه بقي خائفا ولا يصدق خروجه من حضرة السلطان سالما ، وعرف أيضا عن الناصر أنه كان "ذا بطش ودهاء

وحزم شديد وكيد مديد" (الصفدي ، 2000، صفحة 261/4)وكان "متقلب الرأي والمزاج إذا أحب شخصا يقبل عليه إقبالا لا يمكن أن يحسب له إدبارا ، ويدبر عنه إدبارا لا يدع له في الأرض ذكر ولا آثار" (الصفدي ، 2000، صفحة 261/4) وهنا أيضا تتوضح لنا حجم الشجاعة التي كان يتمتع بها اليوسفي ففي ذلك الجو المشحون بالغدر والإعتقالات والتصفيات ، إلا أنه كان حرا صادقا جريئا في تدوين سيرة الناصر ، أو من المحتمل أن هذه السيرة كانت مخفية أيام سلطنة الناصر ، ولم يكشف عنها إلا بعد وفاته والله أعلم.

- طال غدر السلطان أقرب خواصه ، ومنهم زوج ابنة الأمير سيف الدين طغتمر(كان مهيبا ساكنا وادعا للشر ، وكان بعيد عن ملازمة السلطان لا يتملق له مثل غيره ، مات أواخر سنة 733 هـ .) (الصفدي ، 2000، صفحة 257/16) عرف بالأخلاق وعدم التدخل في أمور غيره إلا أن السلطان تغير عليه "لم يعرف له سوء في حاشيته ولا كلام يؤثم عليه ... إلا أن السلطان كرهه ... حتى أنه عند موته أتهم في أمره وأشيع أنه سقاه لكثرة ما كان قد كرهه" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 211–212) نستطيع أن نستنتج من النص السابق أن الخبر لم يكن سرا لا بل شاع وأنتشر وصار واضحا الشك في تدبير السلطان ومن أن الأخير سقاه السم ، عدا ابن أيبك الذي أبعد هكذا أخبار من السيرة وبفعله هذا ابتعد عنه الحيادية في التدوين وهي أهم صفات المؤرخ .

تطول قائمة أسماء من طالتهم يد غدر السلطان ، وذكر بعضهم كلا مدوني السيرة لكن على اختلاف في التعبير والوصف ، من خلال قراءة الروايات التأريخية بتمعن نستطيع أن نصل إلى حقيقة أن أغلب تلك الجرائم كانت ظاهرة لدى الخاص والعام من الناس ، ومن تلك الروايات ، ما جرى لأمير العربان مهنا بن عيسى الذي طالما شكل مصدر قلق لدولة المماليك آنذاك ، بسبب كثرة معارضاته للقرارات السلطانية التي يعتبرها غير منصفة وقاسية وأيضا لكثرة المناطق الخاضعة تحت سيطرته وتدين له بالولاء والطاعة ، صور لنا ابن أيبك رواية حضور الأمير إلى حضرة السلطان من منظوره الخاص الذي يظهر سيده بالجانب الإيجابي قائلا: "وفيها كان قدوم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى دايسا بساط العدل ، فسبحان من أذل لمولانا رقاب الأمم من ملوك العرب والعجم" (الدواداري ، 1960، صفحة 379) وهنا نتساءل لو كان السلطان قوي مثلما وصفه بإذلال أعدائه فلما هذا التعجب والفخر من مقابلة السلطان وشخص من رعاياه ، وعند قراءة هذه الحادثة لدى اليوسفي نلاحظ إشاراته الواضحة وشجاعته الفائقة ، مبينا أن اللقاء كان يحمل نوعا من التوتر وعدم الثقة والشك بين الطرفين ، قائلا: "وسير السلطان سماط عظيم عمل له في الميدان فأستعفى وسير يقول مالي عادة آكل غير لبن الجمال ... وبقي على هذا الحال ثلاثة أيام" (اليوسفي ، 1986، صفحة 160)، ووجدنا ومؤرخا آخر بعيد عن الحادثة زمانا قد أوضح وأفصح أكثر في وصف اللقاء وما سبقه من رفض وامتناع أمير العربان عن الأكل من سماط السلطان بسبب خوفه من الغدر بالسم (المقريزي ت.، 2013، صفحة 379/2).

وخلال السنوات من (709–741 هـ / 1309– 1340 م) أمر الناصر بحملة من الاعتقالات الواسعة شملت الأمراء المقربين كذلك، ففر منهم قسما هاربا بحياته من القتل ، ومنهم الأمير قراسنقر المنصوري ، وبعد إعلان قرار العفو والتبيلغ برحمة السلطان بالأمراء والمماليك طالبا من الفارين العودة ، لم يصدق قسم منهم قرار العفو ذلك ومنهم الأمير المذكور ، وفضل البقاء هاربا على العودة خوفا من من المكر ، ذكر ابن أيبك تلك الحادثة لكنه أشار إلى سبب ثان ، متهما الأمير المنصوري بالغدر لصالح المغول ، وأسماه الظالم ذاكرا أن "دار الظالم خراب ولو بعد حين" (الدواداري ، 1960، الصفحات 223–236)مضيفا أن السلطان قد ساءت صحته من تلك الأفعال النكرة ، لم يفرق ابن أيبك بين

الظالم والمظلوم المغلوب على أمره الهارب خوفا من المكر والغدر الذي كان ظاهرة واضحة ومعروفة لدى العام والخاص خلال سني سلطنة الناصر .

عين الناصر نساء عجائز مهمتهن التجسس ، يعملن في البيع والشراء "دلالات يبعون القماش ويتكلمون بكلام فيه الدعاء على النشو وبذكر ظلمه وعسفه وما يفعله ، ويجمعوا ما يقولوه من الخير والشر" (اليوسفي ، 1986، صفحة 262)، وذكر أن في أحد الأيام قامت إحدى تلك العجائز بزيارة أحد البيوت وأخرجت ما عندها من القماش فقال أهل الدار: "يا أختي ومن يتفرغ اليوم يلبس قماش على أيام النشو وما من نساء الكّتاب إلا من يلبس الأبيض وينظر إلى غيره فقد وصل في الناس ظلم عظيم" (اليوسفي ، 1986، صفحة 262)وتبادلوا أطراف الحديث بذكر الظلم والجور من الدولة ورجالاتها ، فنقلت تلك الجاسوسة الكلام وذكر ما قيل بالتفصيل ، وكان أحد رجال ذلك البيت يعمل بوظيفة كاتب الأسطبل ، فعمل النشو على حياكة مكيدة للوقوع به ومطالبته بأوراق الصادر والوارد للإسطبل ، وكان رده "ما جرت بهذا عادة ولا سمع أن كاتب إسطبل يعمل حساب لناظر الخزانة" (اليوسفي ، 1986، صفحة 263)، أوصل النشو الخبر للسلطان ، فأمر الناصر بطلب حضوره وسؤاله "ليش ما تعل حساب اللأسطبل وتعطيه للناظر ؟ فقال : يا خوند بدال ما تطلب حساب عبي ومقاود أطلب حساب الذي يدخل خزانتك والأصناف التي تحمل بالألوف وأنت تسمع من هذا الكلام الذي ماله أصل" (اليوسفي ، 1986، صفحة 262)، زاد وأضاف النشو على كلام ابن الجيعان مفهما السلطان أنه قل أدبه في حضرته ، وما كان من السلطان في النهاية إلا أن أمر بإعتقاله وتسليمه إلى بدر الدين لولو و"بعد أيام توفي تحت التعذيب هو وأخوه" (اليوسفي ، 1986، صفحة 263) والاستحواذ على بيوت أبناء الجيعان والقبض عليهم ومصادرة بيوتهم (اليوسفي ، 1986، صفحة 263) وأكد المقريزي تلك الرواية (المقريزي ت.، 1973، صفحة ج2 / 383).

سلط الناصر الظلم على رعيته بشتى أصنافه ، ومثلما بينا توليته الولاة القساة والسماح له باستخدام شتى الوسائل لإذلال العامة من الشعب ، وفرضه الضرائب الباهضة ، وغالبا ما كانت تُشيد العمائر على حساب الطبقة ضعيفة الحال من عامة الناس و "تكفل النشو بأمرها وشرع في طرح الأصناف وغيرها وتحصيل الأموال ووقع بالناس ظلم عظيم وعانت من كثرة الرمي والطرح" (اليوسفي ، 1986، صفحة 167)، وكان لإطلاق السلطان أيدي الولاة بظلم الشعب تفسيرات متعددة ، إذ وظف في بعض الأحيان على تصفية الخصوم ، ووقع بالناس شتى أنواع الظلم وموورست أصناف عديدة من العقوبات كعقوبة التعرية والضرب بالمقارع حتى الموت (اليوسفي ، 1986، الصفحات 362–370) ولم يجرؤ أحد رفع شكوى للقضاء ، كون السلطان كان مؤيدا لما يجري من أفعال النشو وغيره من الولاة الظلمة القساة ، وحتى لما وصلت بعض الشكاوى من كبار رجال الدولة عن طبيعة ما يحدث كان رد السلطان: "أنتم تكذبون النشو في جميع ما يقوله وقصدكم أن لا يدعوا أحد يخدمني وينصحني ولم يجسر أحد من الأمراء أن يجاوبه بشئ" (اليوسفي ، 1986، صفحة 279)، على الرغم من تعاظم حالات الظلم وانتشارها ، إلا أن ابن أيبك تغافل وتخطى ما كان خشية من تدنيس سمعة سيده الذي صورها بصور خيالية بعيدة عن الحقيقة .

مهما عمل النشو من ظلم بأمر السلطان وموافقته إذ كان عبارة عن أداة مسيرة لتحقيق رغباته ، إلا أن السلطان خذله ولم يقف معه بعد أن تعرض إلى عملية اغتيال بهجوم فارس ملثم عليه في إحدى الليالي وضربه على رقبته بسكين وقعت على كتفه أدت إلى إصابته وهروب الفاعل، ولم تتضح هويته (اليوسفي ، 1986، الصفحات 273–375)، وبعد

وصول الخبر إلى أسماع السلطان في البدء حزن حزنا شديدا وأصابه الذعر والقلق وامتنع عن تناول الطعام وأرسل بحضور والي القاهرة مؤنبا أياه وأراد ضربه طالبا منه القبض على الفاعل بأسرع وقت وأضاف: "والله لأسمرن الذي فعل وأنا أعرف إنكم تبغضوه لأجل ما تروه أنه ينفعني ويحصل مالي ...ولم يجسر أحد أن يتكلم معه ذلك الوقت وبقي إلى طلعت الأمراء له وعرفوه أن جرحه سالم" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 273–275)، وبعدها أمر السلطان بحملة من الإعتقالات وإصدار جملة من العقوبات بحق بعض الأمراء دون أي مبرر ، فأمر بمعاقبة بدر الدين لولو بعد الذي قدمه للسلطان من خدمة ومصالح وكان مطيعا طاعة عمياء ، وعمل على جرف الأراضي الزراعية وتهديم البيوت ، تعددت فنون العقوبات من قتل وتسمير وتهجير، وعانت الناس الأمرين، وصاحت الغوث من الجور والظلم حتى نشافى النشو ، وخرج حاملا هو بنفسه رغبة الانتقام وتصفية الأعداء (اليوسفي ، 1986، صفحة 345)، لم يذكر ابن أيبك تلك التفاصيل بل قصرها على بيان رعاية السلطان للنشو بعد إصابته، يقول: "فلحظته السعادة السلطانية التي لو لوحظت الصخر لأينع وأزهر وأثمر ، أو الليل الداجي أواخر الشهر الأقمر" (الدواداري ، 1960، صفحة 346).

إلا أن الحال لم يستمر هكذا حول علاقة السلطان بالنشو ، مثلما أشرنا سابقا ، إذ تغيرت الخواطر السلطانية بعد أن تمادى النشو وقويت شوكته ، فقرر السلطان ببرود أصاب قرارا بتصفيته، وسجل لنا اليوسفي نصا على لسان النشو مخاطبا السلطان: "أنني عاديت الأمراء والجند والكتّاب حتى الجواري ولم أدع لي محبا والكل في نصحك وما طلبت مني شئ وعجزت عن حمله" (اليوسفي ، 1986، صفحة 352) وبالنهاية خُذل النشو بعد كل الذي عمله في سبيل كسب رضا السلطان .

ومن بين النصوص التي تؤيد لنا جشع الناصر ودنو نفسه على أموال غيره على الرغم من كثرة ما يملكه من أموال منقولة ومجوهرات لا تعد ولا تحصى ، سمع ذات يوم بحجر نادر كبير الحجم من معدن الزمرد يصل وزنه إلى حوالي مئتين وخمسة وأربعين مثقالا كان لدى شخص من عامة الناس يدعى عفانة الكارمي ، فاستدعي هذا الشخص وسئلعن الحجر إلا أنه أنكر امتلاكه، وبعد انتهاء المقابلة هرب إلى بلاد اليمن ، أرسل بعد ذلك من يتجسس على ابن عفانة وبالفعل تم الإيقاع به ومصادرة الحجر إلى الديار المصرية ، ويقال: إن "أبن عفانة لم يعش سوى ثمانية أيام وتوفي غبنا عليها" (الدواداري ، 1960، الصفحات 132–133) هذا النص من الأدلة التي تؤيد الاستنتاج الذي بيناه بطمع الناصر كونه ذكر في السيرة التي سطرها ابن أيبك المجامل والمتزلف للناصر إلا أن الحق ظهر وشهد شاهد من أهله.

قامت العديد من الثورات المطالبة بإقالة الناصر ، لما لحق بالبلاد من ظلم ، وتحت الضغط الشعبي والجماهيري اضطر الناصر إلى التنازل عن العرش سنة (708 هـ / 1308) ، سجل ابن أيبك تلك الحادثة التاريخية المهمة في سيرة حياة الناصر ، إلا أنه ذكر أسباب التنازل من وجهة نظره هو فقط ، مبينا أن السبب الرئيس للتنازل هو لظلم الولاة وما لحق بالرعية من تعسف الولاة كونهم "لم يقوموا بما يجب عليهم من أمور الشريعة وأن ظلمهم قديم وفشا ولا عاد فيهم من يرتدع ولا يخشى ، حتى عاد إذا ظلم مظلوم ووقف يشتكي حاله ، فينشد ويوثق في حباله ويُضرب ويعقل ، ومن سجن إلى سجن يعتقل ، فلم يجسر مظلوم بعدها أن يتفوه بظلامته لتحققه أنه إذا شكى حاله فقد عدم سلامته ، وعاد كل منهم يحكم ولا يُحكم عليه ، وقد سلّمت أمور الرعية اليه ، وكان فيهم عدة من الأشرار لا يعرفون جنة ولا نار مرتكبين من الفواحش أعظمها" (الدواداري ، 1960، صفحة 155)، حجم ابن أيبك هنا أسباب الظلم الذي لحق بالناس بتسلط الولاة الظلمة وبرأ السلطان وقال: إن "الظلم والعسف والجور والتسلط على العالم ما لا يمكن شرحه ، فبّصر الله تعالى

مولانا السلطان ، فأنه ينظر نصره الله مختصا بثلاث فراسات ، فراسة الإيمان وفراسة الملك وفراسة الطبع" (الدواداري ، 1960، صفحة 322)، وفي الحقيقة جملة ما كان يتمتع به الناصر هي طباع الغدر والطمع والجشع بجمع المال حسبما بيناه سابقا في صفحات الدراسة .

كان السلطان الناصر متقلب المزاج ، إذ نجده في كثير من الأحيان يتغير على أقرب أصحابه من الأمراء وغيرهم ، هذا الطبع حير ابن أيبك فوجدناه يذكر الحادثة التي تمت كأن تكن تصفية أو تنحية أو مصادرة تحت عنوان "تغيرت الخواطر الشريفة السلطانية ... لنقائض بدت منه" (الدواداري ، 1960، صفحة 394) قاصدا من تم تصفيته أو عزله من الأمراء ، مع عدم بيان الأسباب التي أدت إلى تغير خواطر السلطان ، جاعلا قارئ السيرة في حيرة كون المعلومات المدونة غير مكتملة . على عكس اليوسفي الذي كان يذكر أدق التفاصيل ، على سبيل المثال ما حدث للأمير الحاجب سيف الدين الماس (من الأمراء اللذين إشتراهم السلطان الناصر وترقى في المناصب الكثيرة منها منصب الجاشنكير ومنصب الحاجب ، وترقى في المناصب إلى أن وصل إلى منصب الجاشنكير ومنصب الحاجب ثم وصل إلى منصب النيابة) (إبن تغري بردي ، (د – ت)، صفحة 301/9)كان "الرجل فيه ميل إلى حب الشباب ، والتلفت إلى معاشرة أولاد الأمراء والتقرب إليهم والإلتفات إلى تحصيلهم ، وأعياه ذلك إلى أن كان بجوار بيت النيابة مسجد أرضي يصلي الناس فيه ، فألجأه التلفت إليهم أن فتح بجوار قبلته باب سر يدخل منه إلى بيت النيابة ، فكان إذا قصد الإجتماع بأحد طلبه إليه ، ويدخل به من ذلك الباب (اليوسفي ، 1986، صفحة 186)، لا نعلم السبب الحقيقي وراء إخفاء هذا السبب من قبل ابن أيبك عند تدورين أخبار السيرة وتلك الحادثة من ضمنها ، مع ما مبين أن الخطأ خاص بشخص الأمير ولا للسلطان دخل فيه ، وأكتفى بذكر "كان السخط على الماس الحاجب وقبض عليه يوم الأربعاء للعشرين من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثون وسبع ماية ، وأحيط على بيته وحملت أمواله" (الدواداري ، 1960، الصفحات 373–374)نستطيع أن نعلل من باب الأستنتاج عن أسباب تدليس ذلك الخبر منها عدم شيوع هكذا أخبار شاذة بين صفوف الأمراء لا سيما وأن هذا الأمير كان من شراء واختيار السلطان الناصر ، أو لرغبة ابن أيبك بعدم إكمال الحادثة وكيف كانت نهاية الأمير سيف الدين ، التي فصلها اليوسفي بأنها نهاية قاسية إنتهت بالموت بعد أن "قطع عنه الطعام ...فرحلوا وخنقوه ، وباكر النهار حمل على نعش من القلعة ودفن في جامعه الذي أنشأه ... ورسم بأخذ الرخام الذي في بيته وقلع جميعه ، ، وكان قد عمّر هذه الدار وصنع فيها الرخام المفتخر ، رخام عظيم حُمل له من سائر الأقاليم" (اليوسفي ، 1986، صفحة 265)، لم يذكر ابن أيبك تلك النهاية المأساوية التي ختمت حياة الحاجب ، ونستطيع أن نضيف سببا آخر لتدليسه عن نهاية الحادثة تلك ، باستنادنا إلى نص ذكره اليوسفي شابه الخجل والحياء لمح به بإشارات بسيطة عابرة تبين أن السلطان الناصر كان شاذا أيضا وله شغف بالشباب فذكر أنه "حصل للسلطان شغف عظيم في بعض مماليكه يسمى الطنبغا ...فحصل له هوى وشغف ...وصار السلطان يتردد إليه في بعض الأوقات" (اليوسفي ، 1986، صفحة 265) نقف هنا موقف المتحير من تفسير المفردات التي استخدمها اليوسفي في النص أعلاه ، فما الذي يدعو الناصر إلى التردد على مماليكه ويزورهم وما المعروف بالتكبر والغرور ؟ وما المقصود بالمفردات شغف وهوى عظيم ؟ لعل ذلك السبب من جملة الأسباب التي دفعت ابن أيبك على التدليس عن ذكر التصرفات الشاذة والأفعال الذميمة ، ولا سيما أن هناك توضيحا من محقق كتاب نزهة الناظر الذي أشار إلى شيوع العلاقات المحرمة داخل البلاط السلطاني وأجاز لنفسه أن يسميها ظاهرة الاغتلام (اليوسفي ، 1986، صفحة 78)ونحن نعرف أن المفردة الظاهرة تطلق على

وصف أمر شاع وانتشر خبره . وللمفارقة أن ابن أيبك أشار بنص عن حادثة خصت الأمير سيف الدين بلبان الدواداري ، بعدما أرسل بمهمة إلى بلاد اليمن ، وعند مقابلة حاكمها الملك المجاهد ذكر أن الأمير وصف حاكم اليمن بقوله: "وجدته شابا حسنا ، أسمر اللون حسن الوجه ظريف القوام أدعج الشعر أكحل العينين ، قال لما شغلني شبابه عن خطابه وكان الدواداري مولعا بحب الشهوات ويفضل حب البنين على البنات قال : فقال ليّ يا سيف الدين أيش عجبك في بلادنا ؟ فقلت والله ما عجبني غيرك ، فقال الدواداري فأحمر وجهه من اخجل ثم لاطفته ونزلت من عنده" (الدواداري ، 1960، صفحة 318)، على الرغم من حرص ابن أيبك ببيان الحسنات من الصفات إلا أنه هنا ظهرت الحقيقة ، أو لكون هذا الأمير بعيدا عن السلطان وليس من خواصه كالحاجب ولم يكن من اختيار السلطان . من جملة الولاة الذين انقلب عليهم السلطان الناصر هو الأمير المحسني وصل إلى مسك منصب ولاية القاهرة بعدما أستوفى الشروط المطلوبة لهذا المنصب من القسوة والظلم والتعسف في جمع الأموال ، تم عزلة بسبب مخالفته لأوامر السلطان وقيامه بقتل أحد المعتقلين بعد أن أوصى الناصر بضروره بقاءه على قيد الحياة بقوله: "هذا أحفظه لي به شغل" (اليوسفي ، 1986، صفحة 194)، وبرجوعنا إلى السيرة التي دونها ابن أيبك نجد إشارة مبهمة عن عزل المحسني وغير واضحة الأسباب بقول "بلغ المسامع الشريفة سوء إعتماد من الولاة بحق الرعية" (الدواداري ، 1960، صفحة 378) ، بحثنا مفتشين عن الشخص المعتقل والذي قتله المحسني ، نجد أن هذا الشخص يستحق أشد العقوبات وأنه كما قيل عنه: "لم ير من أبناء جنسه أنجس منه" (اليوسفي ، 1986، صفحة 194)، وهو المملوك ايديكين البربري علاء الدين من مماليك بدر الدين الأزكشي متولي منصب نائب الرحبة (740 هـ / 1339 م) ، والسؤال هنا ما غاية السلطان من بقائه على قيد الحياة مع كونه كثير الخطايا والذنوب سيئ الصيت ؟

- طالما شكل العربان مصدر قلق لعرش السلطان الناصر ، ولا سيما زمن أميرهم الشيخ مهنا ، وزاد الخطر بتواصل مهنا مع المغول وعقده علاقات ودية آنذاك مع سلطانهم أبو سعيد ، لم تعجب تلك العلاقات الناصر ، ولم يهدأ له بال وحاول جاهدا زعزعة تلك العلاقات ، وفي أحد زيارات مهنا طلب منه أبو سعيد إطالة المكوث بعبارة: "البلاد بلادكم وحلت بك البركة" (اليوسفي ، 1986، الصفحات 201–202)، أرسل الناصر الوشاة لتخريب سلمية الزيارة تلك ، فراسل في بادئ الأمر أولاد الشيخ مهنا وهم أحمد وموسى وفياض ، وحلفهم بأن يرجعوا أباهم شاء أم أبى (اليوسفي ، 1986، صفحة 199)، وبينا فيما سبق علاقة الناصر بالسلطان مهنا ، إذ كان الأخير في أكثر من مرة يرد دعوة الناصر ، وكان يقول صراحة: "يا سلطان والله ما دمت أعيش لا رأيتني أطأ بساطك إلا أن قدر الله بشئ من سابق علمه فخلي مال المسلمين ينفعك عند الحاجة وكل ما يقول أولادي لك كذب منهم ويعدوك بمواعيد غير صحيحة" (اليوسفي ، 1986، صفحة 280)، وبزيادة الضغط على مهنا استسلم وقرر الرجوع إلى البلاد المصرية ، وبهذا الخبر فرح السلطان وأمر بتجهيز العراضات لاستقباله واوصالهم قائلا: "هذا الرجل رجل ملك على سائر العرب وأنا أريد أعظمه" (اليوسفي ، 1986، صفحة 281)، وكان يقول: "والله كان في نفسي منه لو بذلت ملكي كله لمن يأتيني به إلى طاعتي فلما بلغني أنه يريد أن يحضر ما صدقت إلى أن رأيته" (اليوسفي ، 1986، صفحة 281)، وعند رجعونا إلى ما كتبه ابن أيبك نجده لم يذكر جميع تلك المقدمات وما أصاب السلطان من خوف وقلق بما ستجنيه العلاقة بين مهنا والمغول واكتفى بتسجيل لحظة وصول مهنا ودخوله إلى طاعة السلطان بعد أن أذل العاصين وهو منهم (اليوسفي ، 1986، صفحة 379). لو رجعنا إلى المدة التي سبقت سلطنة الناصر وهي مدة حكم المنصور والد الناصر ، نجد العلاقات أيضا غير

مستقرة بين الطرفين ، وكانت عبارة عن كر وفر وتمرد وخروج عن الطاعة وعصيان للأوامر (إبن عبد الظاهر ، 1962، صفحة 81)، ومع كثرة محاولات ابن أيبك وتلاعبه بالمفردات مريدا إظهار حادثة رجوع مهنا إلى طاعة السلطان وكأنها حدث غير مهم وأنها ضرب من ضروب بسط نفوذ السلطان على ربوع دولته ، إلا أنه دون أن يعي وقع بوصفه اللقاء وكأنه لقاء سلطان لسلطان أو حاكم لحاكم ، وهذا يؤكد ما كان يتمتع به الشيخ مهنا من قوة ونفوذ ، ومن الأدلة على نفوذه أنه تشفع للأمير قراسنقر المنصور الذي مر ذكره ، بعد أن هرب من البلاد المصرية بسبب تهم باطلة لفقت له خوفا من غضب السلطان (النويري ، د – ت ، صفحة 418/27)، برر ابن أيبك تلك العمليات وما جرى من عقوبات كانت ودية وليس الغاية من التعذيب أو القتل قائلا: "بلغته هذه الأخبار المزعجة التي تصورت من الوهم الذي ما توهموه أو سمعوه من مناصيحهم صحة ولقد كانت نيته المباركة لهم بخلاف ما توهموه إنما أراد الله تعالى أمرا هينا أسبابه لينفذ قضاءه وقدره" (الدواداري ، 1960، صفحة 223)، كل الذي جرى من عمليات العزل والقتل والنفي أجملها الدواداري بالنية السليمة ! وهذا دليل على المؤرخ المتزلف غير المحايد .

على الرغم مما شهده الناصر من تقلبات سياسية أدت إلى انتزاع العرش ثلاث مرات ، وما جرى من أزمات اقتصادية وسني القحط العجاف ، والظلم والاستبداد ، نجد أن ابن أيبك جزم أن أيام سلطنة الناصر كانت أفضلها قائلا: "وقد أعتبرت منذ أول زمان وإلى آخر وقت لم أجد زمانا أكثر خيرا وأمنا وخصبا وإقامة منار الإسلام في سائر الممالك الإسلامية من زمان مولانا السلطان، وقد قبل الأوطان حيث يعدل السلطان وعدل السلطان خير من خصب الزمان ،فكيف إذا إجتمعت هذه الخصال في أيام مولانا السلطان...لم يكن من ولا إلى برهان كونه بالمشاهدة والعيان يفهم ذلك كل من له إطلاع" (الدواداري ، 1960، صفحة 384)، وهنا إثبات آخر على عدم اعتدال ابن أيبك في تدوين الأخبار ضمن مصنفه . على العكس منه اليوسفي الذي نجده صادق ومحايد ، يذكر الحادثة التأريخية التي تصله إما مباشرة ويكون هو شاهد عيان لها ، أو عن طريق السماع ، دون زيادة أو نقصان ، ومثال ذلك تدوينه أخبار عن الأخبار الثقافية في تلك الحقبة ، مبديا إعجابه بها وما هي عليه من الازدهار والتقدم ، معللا أن ذلك الازدهار والتقدم قد حصل "تتويجا لما أختزن في الماضي بشكل تصاعدي منذ الدولة الزنكية مرورا بالدولة الأيوبية ، ووصولا للدولة المملوكية من المؤسسات الثقافية التي كانت عمادها المدارس والجوامع ودور الحديث والبيمارستانات" (اليوسفي ، 1986، صفحة 41)، استخدم هنا ابن أيبك عبارات المديح وأسلوب السجع لكسب رضا السلطان ، وكثيرا ما شاهدنا عبارات منمقة حملت في طياتها مبالغات لا تمت للحقيقة بشيء . وذكر عبارات على لسان نهر النيل مادحا الناصر فيها قائلا: "وعزة الرحمن ومن أجراني من الجنان وطهر بي النجوس وأحيا بي الطقوس ، ولولا شيوخ ركع وأطفال رضع ودواب رتع لتوقفت ولم أطلع ، ، ولم علمت أن مصر بلا ناصر ، وخالية من نورها الباصر لما أستيشرت مني بالجريان ولا أصبح فيها قاع ريان" (الدواداري ، 1960، الصفحات 163–164)، تكررت هذه الأساليب في الكتابة أيام المماليك لا سيما القرن السابع والثامن ، كالمؤرخ العيني الأكثر شهرة في هذا الضرب من ضروب الكتابة ذكر في أحد كتبه قائلا: "زاد النيل المبارك بإذن الله خمسة عشر صيفا وهذا شئ غريب لم يعهد مثله إلا في النادر وهو بسعادة مولانا السلطان المؤيد" (العيني ، (د _ ت)، صفحة 333). و في سنة 689 هـ / 1290 م ، وقع خلاف بين صفوف المغول ، فأرجع ابن أيبك سبب ذلك الخلاف والتفرقة إلى بركات السلطان "وهذا الخُلف الذي كان وقع بين التتار في ذلك الوقت يعد من جملة بركات تملك مولانا السلطان الملك الناصر عن نصره ، وبركة حلول أول ركابه الشريف" (الدواداري ، 1960، صفحة 9)،

ووصل بابن أيبك التطاول على الخالق سبحانه وتعالى ، وحاولا إبعاد التقصير عن السلطان ، وأن السبب وراء خسارة المسلمين في معركة الخزندار التي (حدثت بين المماليك بقيادة السلطان الناصر والتتار بزعامة غازان ، إنكسر فيها المماليك وكان النصر حليف التتار) (الصفدي ، 2000، صفحة 254/4) .سنة 699 هـ / 1299 ، حصل تخاذل من الله عز وجل فهربت ميمنة المسلمين (الدواداري ، 1960، الصفحات 6-7)، وأفرد بابا خصصه لذكر وبيان أعمال السلطان الناصر ومنجزاته في جميع الجوانب السياسية وغيرها التي يطول تفصيلها ، مستعملا أسلوب المديح المفرط والثناء مع الاعتذار عن التقصير من عدم قدرته على الوصف الدقيق قائلا: "وإن أطنبنا في وصف بعض مناقبه وكان اللفظ قاصرا ، سيدنا ومولانا ومالك رقنا السلطان الأعظم الملك الناصر ، فانظر أيها الفاضل بعين الإنصاف ودع الجدل والخلاف فهل رأيت قد مكنه الله من رقاب أعدائه المتمردين من خلل وقع في الدين ؟أو في حادث يشين زمانه أو من قحط وجوع وغلاء حصل في أوانه أو من خوف عدو نخشاه ؟ كلا والله ما كان هذا قحط في أيام دولته وحاشاه فالحمد لله الذي خصنا ، إذ جعل من أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم " (الدواداري ، 1960، صفحة 6). نزه هنا ابن أيبك عصر سيده من كل مجاعة أو قحط أو غزو من عدو، متناسيا أيام القحط والجوع التي حلت بالبلاد ذلك العصر ، وانقطاع المطر وانحسار ماء النيل ، والثورات والتمردات الداخلية التي عجت بالبلاد ومر ذكرها أجبرت السلطان من إعلان التنازل عن العرش أكثر من مرة ، وما قام به الولاة الظلمة من تعسف بالرعية بأمر الناصر وعقوبات المصادرة والغرامات والضرائب والعقوبات الجسدية والإعتقالات التي ملأت السجون ، والعصيان الذي قام به العربان في أكثر من مرة ، والأخطار والهجمات الخارجية من المغول والأفرنج وغيرهم (اليوسفي ، 1986، الصفحات 25-296-455)

حوت السيرة التي أعدها ابن أيبك العديد من النصوص التي لا تخدم التأريخ ، ولا يستفاد منها طالب التأريخ للتعرف على أحداث تلك الفترة ، ونستطيع أن نطلق عليها الحشو الزائد الذي يزيد من حجم الكتاب المادية ، مع تناقص وفقر في القيمة العلمية ، ففي إحدى النصوص التي ذكر فيها بركات الناصر بما قام به من إبادة جماعية في أحد حملاته وبالتحديد سنة (709 هـ / 1309 م ، بعد الانتهاء من تلك التصفية التي لحقت حتى بكبار الأمراء ، بعدها خرج للتنزه هو ومن معه من خدم وحاشية ، وصاد في تلك الرحلة أربعين حمارا وحشيا وهو نفسه عدد من تم قتلهم ومصادرة أموالهم من الأمراء (الدواداري ، 1960، صفحة 161)، وهذا الأمر رده إلى عظمة السلطان وتوفيقه . وفي وصف آخر مشابه لهذه المقارنة البائسة: "ثم خرج ثانية في خامس صفر ، فظهرت له دلائل خفية وإشارات مخفية يحلها أولو العقول الوفية وذلك أنه قبض على بومة وقد كسرها عقاب ، ثم عادت معه في أشد العقاب ، فكانت الإشارة بمعنى العبارة ، إن العقاب ملك الطير باسره بره وبحره في أسره واليوم أرذلها وأصغرها وأنحسها وأقذرها ، فكان الرمز الظاهر أن هذا العقاب هو الملك الظاهر وأن البوم المكسور بيبرس الباغي المكسور" (الدواداري ، 1960، صفحة 162)، واستخدم أسلوب الضرب على الرمال في إكمال الوصف قائلا: "أعداد حروف عقاب سبعة عشر عدد محررا : فالعين بعشرة والقاف بأربعة زالألف بواحد والباء بإثنين ، وألألف محذوف في رسم الخط والصاد ساقط من الأعداد ، والراء بثمانية فحصلت المطابقة بين هذين الأسمين في الأعداد والحساب" (الدواداري ، 1960، صفحة 162). تعامل ابن أيبك في ذكر صفات سيده وتدوينها وكأنه من الأولياء الصالحين لا بل بدرجة الأنبياء إذ قال: "حلال مولانا السلطان الملك الناصر المؤيد بالملائكة والقرآن الذي ليس فيه طالع سعده قِران فلو كان لبشر في الفلك مكان لكان ظهر جواده في السما كان والمجرة له ميدان وكإيوان له أيوان" (الدواداري ، 1960، صفحة 3) و "ذكر مناقب سيد ملوك الأتراك تضيق عم حصر جملتها الخواطر

فكيف تحصرها الأقلام والدفاتر ، فأختارنا الله وأنشأنا هذا الجزء اللطيف المعان يشتمل على بقية ذكر بعض مناقبه الحِسان ، التي جملتها كعدد نجوم الآفاق ، وكضياء الشمس بهجة وإشراق فكيف يسعها دفاتر وأوراق" (الدواداري ، 1960، صفحة 6)و "له معقبات من بين يديه ومن خلفه ... وقد حفت به الملائكة المقربين من كل ملك كريب" (الدواداري ، 1960، الصفحات 82–84)، ومع كل ما ذكره وبالغ بوصفه من نسب الخوارق والمعجزات لسيده إلا أنه بالنهاية اعتذر عن التقصير قائلا: "فإن الألفاظ مخلوقة والمعاني مسبوقة إليها ومسروقة ، والإنسان فقصير اللسان عن بديع البيان والإعتراف بالعمر إنصاف ويقوم مقام الإدراك بلا خلاف فالواجب على الأديب الحر أن يقبل العذر ويسامح" (الدواداري ، 1960، صفحة 5)، وبالتالي تتضح لنا هنا غاية ابن أيبك من تأليف كتابه وهو الكسب المادي والمصالح الدنيوية ، فقراءة ما وراء الحدث تعطي بصيرة وإدراكا وحكمة تنجي من العواقب ، والعجلة. وتغليب المصالح الآنية دليل على قصر النظر وعدم الاكتراث بما أفرزته الأيام الخالية ، فضلا عن نتيجته الوخيمة .

الخاتمة

تناولت الدراسة التحليل النقدي لنصوص السيرتين التابعتين للسلطان محمد الناصر لكل من المؤرخين اليوسفي وابن أيبك الدواداري فضلا عن تمهيد شمل مكانة المؤرخين ومعاصرتهم للأحداث مدار النقد .

اعتمد كلا من اليوسفي وابن أيبك في جمع مادة مؤلفاتهم على السماع والمشاهدة ومشاركة الأحداث في أحيان أخرى .

اعتمد المؤرخان اتباع الأسلوب الحولي وترتيب الحوادث التأريخية بحسب السنوات إلا أنهم لم يلتزموا حرفيا بهذا الأسلوب إذ نجدهم يقدمون ويؤرخون بحسب الضرورة .

تمتع كل منها بالقرب من البلاط والسلطان الناصر شخصيا وهذا ما جعل مادتهما مهمة وذات قيمة علمية جيدة؛ إذ كانا على إطلاع على بعض الأمور السياسية والقضايا الخاصة بسيرة السلطان، إذ جمعت اليوسفي علاقات صداقة مع كبار الأمراء كانوا له السند والعون ، والثاني كان هو وأبوه من كتاب الداووين الخاصة بالسلطان .

أثبتت الدراسة حيادية اليوسفي وعدم تحيزه وتزلفه للسلطات الحاكمة وكان صاحب رأي صريح وقلم حر في التدوين لا يخاف ولا يتملق وكان تدوينه للسيرة قد كشف اللثام عن الشخصية الحقيقية للناصر بعكس ما كان يصوره بعض المؤرخين .

امتاز ابن أيبك الدواداري بالتدليس والكذب وإخفاء بعض الحقائق التي تمس بسمعة السلطان خوفا وطمعا في كسب رضا سيده وهذا ما دوناه بالأدلة القاطعة في هذه الدراسة .

- **قائمة المصادر والمراجع**
- **أولا المصادر**

- الأسيوطي ، (ت القرن التاسع الهجري) .
- جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود ، تحقيق مسعد عبد الحميد ، ط 1 ، (بيروت – 1996) .
- * ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد بن اياس الحنفي المصري (ت 930 هـ / 1523 م) .
- – بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، دار الكتب المصرية (القاهرة – 1983) .
- • ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، (ت 874 هـ / 1469 م).

- – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطابع كستاستوماس وشركاه ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، (القاهرة – د . ت) .
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ / 1347 م) .
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق حسين الأسد وشعيب الأرناؤوط ، (بيروت – 1993 م) .
- الشجاعي ، شمس الدين الشجاعي (ت 745 هـ / 1334 م) .
- تأريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون وأولاده دراسة وتحقيق سلطانة ملاح الرويلي و محمد عبد القادر فرسياب ، الجامعة الأردنية (د 0 م – 1428 هـ) .
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت 764 هـ / 1362 م) .
- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق د علي أبو زيد و د نبيل أبو عشمة و د محمد موعد ود محمد سالم محمد ، دار الفكر المعاصر ، ط1 (بيروت – 1418 هـ) .
- الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي ، دار احياء التراث ، (بيروت – 2000 م) .
- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ / 939م).
- العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية (بيروت 1983 م).
- ابن عبد الظاهر ، محي الدين بن عبد الظاهر (ت 692 هـ / 1292م).
- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، 1962 م .
- العسقلاني ، أبو حجر العسقلاني (ت 852 هـ / 1448 م).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق عبد الوارث محمد علي ، منشورات محمد علي بيضون (القاهرة – 1386 م).
- العيني ، محمود بن احمد بدر الدين (ت 855 هـ / 1451 م).
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق فهيم محمد علوش، دار الكتب المصرية (بيروت – د 0 ت).
- عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان ، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي ، الزهراء للإعلام العربي ، ط 1 ، (القاهرة – 1989) .
- القلقشندي ، أحمد بن علي القلقشندي (ت 821 هـ / 1418) .
- صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العربية(بيروت – د 0 ت)
- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المصري(ت 854 هـ / 1450م).
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب المصرية (القاهرة – 1973 م).
- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد السيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (لندن – 2013 م).
- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ / 1332 م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، كوستاتسوماس وشركاه وزارة الثقافة والإرشاد (القاهرة – د 0 ت).

- اليوسفي ، موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي (ت 759 هـ / 1358 م).
- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق الدكتور احمد حطيط ، ط1 ، (بيروت – 1986 م).
- **ثانيا : المراجع**
- الزركلي ، خير الدين (ت 1410 م)
- الأعلام ، ط 5 ، دار العلم للملايين (بيروت – 1980 م).
- قاسم ، عبده قاسم
- دراسات في تأريخ مصر الإجتماعي عصر سلاطين المماليك دار المعارف ، ط 1 ، 1982 .
- مصطفى ، شاكر
- التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين (بيروت – 1993) .
- **ثالثا : الأبحاث المنشورة**
- ضاحي ف. ج& ,.مصطاف ث. ن. (2018). الزواج السياسي في عصر المماليك البحرية (648–784). *Journal of Education College Wasit University*, *1*(3), 88–100. https://doi.org/10.31185/eduj.Vol1.Iss3.723

- **List of Sources and References**
- • Al-Asyuti, (d. 9th century AH). - Jawahir al-Uqud wa-Mu'in al-Qudat wa-l-Mu'awwiqin wa-l-Shahed, edited by Mas'ad Abd al-Hamid, 1st ed., (Beirut - 1996).
- * Ibn Iyas, Abu al-Barakat Muhammad ibn Ahmad ibn Iyas al-Hanafi al-Misri (d. 930 AH / 1523 AD). - Bada'i' al-Zuhur fi Waqa'i' al-Duhur, edited by Muhammad Mustafa, Dar al-Kutub al-Masriyya (Cairo - 1983).
- • Ibn Taghri Bardi, Jamal al-Din Abu al-Mahasin Yusuf ibn Taghri Bardi al-Atabaky, (d. 874 AH / 1469 AD). - Al-Nujum al-Zahira fi Muluk Misr wa-l-Qahira, Kostastomas and Co. Printing Press, Egyptian General Organization for Printing and Publishing, (Cairo - n.d.)
- . • Al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman al-Dhahabi (d. 748 AH / 1347 AD). Biographies of the Noble Figures, edited by Hussein al-Asad and Shuaib al-Arnaout, (Beirut – 1993 AD).
- • Al-Shuja’i, Shams al-Din al-Shuja’i (d. 745 AH / 1334 AD). - History of King al-Nasir Muhammad ibn Qalawun and his sons, a study and investigation by Sultana Malah al-Ruwaili and Muhammad Abd al-Qadir Farsiyab, University of Jordan (d. 0 AD – 1428 AH).
- • Al-Safadi, Salah al-Din Khalil ibn Abik (d. 764 AH / 1362 AD). - Notables of the Era and Helpers of Victory, edited by Dr. Ali Abu Zaid, Dr. Nabil Abu Ashma, Dr. Muhammad Maw’ud and Dr. Muhammad Salim Muhammad, Dar al-Fikr al-Mu’asir, 1st ed. (Beirut – 1418 AH). - Al-Wafi bil-Wafiyat, edited by Ahmad al-Arnaout and Turki Mustafa, Dar Ihya al-Turath, (Beirut – 2000 AD).
- • Ibn Abd Rabbih, Ahmad ibn Muhammad ibn Abd Rabbih al-Andalusi (d. 328 AH / 939 AD). - Al-Iqd al-Farid, edited by Abdul Majeed al-Tarhini, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (Beirut 1983 AD).
- • Ibn Abd al-Zahir, Muhyi al-Din ibn Abd al-Zahir (d. 692 AH / 1292 AD). - Tashreef al-Ayyam wa al-Asr fi Sirat al-Malik al-Mansur, edited by Murad Kamil, Arab Company for Printing and Publishing, 1962 AD.

- • Al-Asqalani, Abu Hajar al-Asqalani (d. 852 AH / 1448 AD). - Al-Durar al-Kamina fi Aayan al-Mi'a al-Thamina, edited by Abdul Warith Muhammad Ali, Publications of Muhammad Ali Baydoun (Cairo – 1386 AD).
- • Al-Ayni, Mahmud ibn Ahmad Badr al-Din (d. 855 AH / 1451 AD). - The Engineered Sword in the Biography of King Al-Muayyad, edited by Fahim Muhammad Alloush, Dar Al-Kutub Al-Masryia (Beirut - n.d.). - The Necklace of Pearls in the History of the People of the Time, edited by Abd Al-Razzaq Al-Tantawi, Al-Zahraa for Arab Media, 1st ed., (Cairo - 1989).
- • Al-Qalqashandi, Ahmad ibn Ali Al-Qalqashandi (d. 821 AH / 1418 AD). - Subh Al-A'sha in the Art of Composition, edited by Muhammad Hussein Shams Al-Din, Dar Al-Kutub Al-Arabiyya (Beirut - n.d.).
- • Al-Maqrizi, Taqi Al-Din Ahmad ibn Ali ibn Abd Al-Qadir Al-Masry (d. 854 AH / 1450 AD). - Conduct to Know the Rules of Kings, edited by Muhammad Mustafa Ziyada and Saeed Abd Al-Fattah Ashur, Dar Al-Kutub Al-Masryia (Cairo - 1973 AD).
- - Sermons and Considerations in Mentioning Plans and Monuments, edited by Ayman Fouad Al-Sayed, Al-Furqan Foundation for Islamic Heritage (London - 2013 AD).
- • Al-Nuwayri, Shihab Al-Din Ahmad bin Abdul Wahhab (d. 733 AH / 1332 AD).
- • Nihayat Al-Arab in the Arts of Literature, Costatsoumas and Co., Ministry of Culture and Guidance (Cairo - n.d. 0 AD).
- • Al-Yusufi, Musa bin Muhammad bin Yahya Al-Yusufi (d. 759 AH / 1358 AD). - Nuzhat Al-Nazir in the Biography of King Al-Nasir, edited by Dr. Ahmad Hattit, 1st ed., (Beirut - 1986 AD). Second: References
- • Al-Zirkali, Khair Al-Din (d. 1410 AD) - Al-A'lam, 5th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayin (Beirut - 1980 AD).
- • Mustafa, Shaker - Arab History and Historians, Dar Al-Ilm Lil-Malayin (Beirut - 1993). Third: Published Research Dahi F. J., & Mustafa T. N. (2018). (648-784) Political Marriage in the Era of the Bahri Mamluks. Journal of Education College Wasit University, 1(3), 88-100. https://doi.org/10.31185/eduj.Vol1.Iss3.723